

١٩



أَمْحَبِيَّتِي رَفَلَتْ بِذِي الْجَنِّ سَفِيكَ

الجزء الثاني

مَكَاتِهَا يَبِينُ نِسَاءَ النَّبِيِّ

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

بريشة : أ. عبد الشافي سيد

إشراف : أ. حمادي مصطفى

للكاتب العام



كانت رَمْلَةٌ بنتُ أبي سفيانَ سعيدةً بزواجها من الرسول ﷺ ،  
 واعتبرت هي وأهلها هذا الزواجَ تشرِيفاً لها ولقومها ،  
 ورفقاً لأقْدارهم ، غيرَ أنَّ أهمَّ ما كان يورِّقها هو كُفْرُ أبيها  
 الذي ربَّاهَا وأنفقَ عليها ، وتصدَّيه لزواجها ﷺ بكلِّ  
 ما أوتي من قُوَّةٍ .



وتمت رملة أن تحدث المعجزة ، ويسلم أبوها ، وينضم  
إلى كتيبة الإيمان .. وهل ذلك على الله ببعيد ؟ ألم يسلم  
من قبل عمر بن الخطاب وكان من أشد الناس عداً للرسول ﷺ ؟  
فلم لا يفتح أبوها قلبه ، ويصغي لصوت الحق ؟

ولعل رملة بنت أبي سفيان كانت ترجو أن تكون  
في مكانة عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر بن  
الخطاب ، بعد أن صارت زوجة للنبي ﷺ وأماً للمؤمنين ،  
ولكن أتى لها ذلك ؟ وأبو بكر وعمر قد بشرهما  
رسول الله ﷺ بالجنة ، أما أبوها فهو ما يزال على  
عناده وكفره !

ومضت الأيام مسرعة ، ورملة تعيش في بيت النبوة تنعم  
برؤية النبي ﷺ وتحظى بقرينه ، وكانت تدرك بحسها  
ووعياها أن المواجهة بين الحق والباطل آتية لا ريب فيها ،  
وأن زوجها ﷺ سيخوض حرباً لا هوادة فيها ضد أبيها  
والمشركين معه من أهل مكة .

وأكدت الأيام صدق حديث رملة (رضي الله عنها) ، فقد

أمر الرسول ﷺ أصحابه بالاستعداد لفتح مكة ، بعد أن  
 نقض المشركون العهد الذي وقّعوه معه في الحديبية .  
 وعلم المشركون أن محمداً ﷺ سيفزّوهم في جيش  
 كبير لا قبل لهم به ، فاتفقوا على أن يرسلوا أحدهم إليه  
 لكي يفاوضه ويطلب منه الصفح والعفو عنهم ، واستقرّ  
 رأيهم على أبي سفيان وقالوا له : هذا هو الذي ينبغي



- أنت سيد أهل قريش ، وابنتك عند محمد ، وإنا لنراك  
أجدرنا بمناقشة محمد والتفاوض معه من أجل تمديد الصلح .  
ووافق أبو سفيان على الذهاب إلى محمد ﷺ على  
مضض ، فقد كان لا يتصور نفسه وهو يتحدث معه  
ويخاطبه بعد هذا الصراع الطويل والحروب الضروس ،  
التي أجج أبو سفيان ثيرانها .

وتسلل أبو سفيان إلى المدينة خفية حتى لا يراه أحد ،  
وقال لنفسه :

- لم لا أذهب إلى ابنتي رمة فقد تشفع لي عند زوجها  
وتسهل على الأمر .

وذهب أبو سفيان إلى بيت ابنته رمة ، فحيّاها وأطمأن  
على أحوالها وقال لها بعد ذلك :

- لقد جئت إليك لكي تشفعي لي عند زوجك يا ابنتي ،  
فقد علمنا أنه ينوي غزو مكة وأهلها ، حيث أهلك  
وعشيرتك !

فسكنت رمة ولم تجبه ، فهي تعرف أن الرسول ﷺ ،

ما دام عزم على شيء فهو سيمضي إليه بإذن الله ، لأنه  
لا يتحرك عن أمره ، ولكنه يسير تبعاً لإرادة السماء ،  
وهم أبو سليمان أن يجلس حتى يعود رسول الله ﷺ  
فيكلمه بنفسه ، ونظر في أرض الحجرة ، فوجد فراشا ،



فَارَادَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهِ ، لَكِنْ ابْنَتُهُ أَسْرَعَتْ وَطَوَتْ الْفِرَاشَ  
قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ .

وَتَعَجَّبَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ صَبَحِ ابْنَتِهِ ، وَسَأَلَهَا فِي دَهْشَةٍ :  
- يَا ابْنَتِي لِمَ طَوَيْتِ الْفِرَاشَ عَنِّي ؟ هَلْ رَغِبْتَ بِهَذَا  
الْفِرَاشِ عَنِّي ، أَوْ أَنَّ هَذَا الْفِرَاشَ لَا يَلِيقُ بِأَبِيكَ ؟  
فَقَالَتْ رَمَلَةٌ :

- وَرَبِّ مُحَمَّدٍ ، مَا رَفَعْتُ هَذَا الْفِرَاشَ ، إِلَّا لِأَنَّكَ رَجُلٌ  
مُشْرِكٌ بِاللَّهِ ، فَكَيْفَ آمَنُكَ عَلَى فِرَاشٍ جَلَسَ عَلَيْهِ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟

وَأَحْسَنَ أَبُو سُفْيَانَ بِالْحَزَنِ يَحْتَضِرُ قَلْبَهُ فَقَالَ لِابْنَتِهِ :  
- يَا ابْنَتِي ، لَقَدْ أَصَابَكَ بَعْدِي شَرٌّ .  
فَقَالَتْ فِي لِقَاءِ :

- بَلْ أَنْتَ الَّذِي أَصَابَكَ الشَّرُّ كُلُّهُ بِكَفْرِكَ بِاللَّهِ !  
وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ عِنْدِهَا حَزِينًا حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَطَلَبَ  
مِنْهُ أَنْ يَزِيدَ مَدَّةَ الْهَدْيَةِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ بِمَا يُرِيدُهُ .



فذهب أبو سفيان إلى أبي بكر الصديق فتوسل به لكي  
 يكلم رسول الله ﷺ ، لكن أبا بكر رفض ذلك وقال :  
 - ما أنا بفاعل .  
 ولما ينس أبو سفيان من أبي بكر ذهب إلى عمر بن  
 الخطاب فأكلمه ، لكن عمر قال له :



— أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به .

( أى لو لم أجد إلا الحصى أو التراب لجاهدتكم به ) .

وانطلق أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب ، فدخل عليه وقال له :

— يا علي ، إنك أقرب القوم بي رحماً ، وإنى جئت فى حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لى إلى رسول الله ﷺ .

فقال علي بن أبي طالب :

— ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه .

وكانت فاطمة (رضي الله عنها) واقفةً معها ابنتها الحسن ، فالتفت إليها أبو سفيان وقال لها :

— يا بنة محمد ، هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟

## فصل في لاطمة

والله ، ما بلغ بي هذا أن يجير بين الناس ، وما يجير  
أحد على رسول الله ﷺ .

ولما رأى أبو سفيان أن الأمر جد لا هزل فيه ، طلب من  
علي بن أبي طالب النصيحة ، فأشار عليه بالموودة من حيث  
حاء ، وأن يستظر ما سوف تسفر عنه الأيام المقبلة ، فعاد  
أبو سفيان إلى مكة بعد أن فشل في محاولته ، وأخبر أهل  
مكة بما حدث ، فعاشوا في وحل وحواف .



وعاد الرسول ﷺ إلى بيت زوجته رمة بنت  
أبي سفيان ، فأعلمها بأمر أبيها وما جاء من أجله ، فدعت  
للرسول ﷺ وللمسلمين بالفتح ، ثم قصت على رسول الله ﷺ  
ما صنعتته مع أبيها حين أراد أن يجلس على فراشه ، فانتسم  
الرسول ﷺ ، ورضى بما صنعتته ، وراحت مكانتها في قلب  
الرسول ﷺ وفي قلب كل مؤمن ومؤمنة .

ونقبت أم حبيبة رمة بنت أبي سفيان تدعو الله أن يهدي  
أباها إلى الإسلام ، وما ذلك على الله بغير ، وكلما تسأل  
اليأس في إيمان أبيها إلى قلبها كانت تتلو قوله ( تعالى ) :

﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الدين عاديتم منهم  
مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾  
سورة المائدة ٧

وقد نزلت هذه الآية حين تزوجها النبي ﷺ ، ولعل الله  
أن يكون قد أراد بابيها وقومها حيرا .

ومررت الأيام وفتح المسلمون مكة وحطموا الأصنام  
الملتقة حول الكعبة ، وجاء أبو سفيان في حماية العباس عم  
النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ :

وَيَحْكُ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ ؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ :

— يَا بَنِيَّ أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ! وَاللَّهِ

لَقَدْ عَلِمْتُ أَنْ نَوْكَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِذَنْ لَا غَنَى عَنِّي شَيْئًا ،

وَلَكِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ !



فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :

— وَيَعْنِي يَا أَبَا سُفْيَانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَلَيْ

رَسُولُ اللَّهِ ؟

لَكُنْ أَبَا سُفْيَانَ تَرَدَّدَ فِي الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي  
أَوَّلِ الْأَمْرِ ثُمَّ مَالَيْتُ أَنْ تُشْرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَأَرَادَ  
الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَتَأَلَّفَ قَلْبَهُ فَقَالَ :

— مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ !

وَعِنْدُنَا لَمْ يَعُدَّ فِي حَيَاةِ أُمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَةٌ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ  
مَا يَعْكُرُ صَفْوَهَا ، فَقَدْ آمَنَ أَبُوهَا وَقَوْمُهَا ، وَضَرَبَ زَوْجُهَا ﷺ  
أَرْوَغَ مِثْلِهِ فِي السَّمَاحَةِ وَالرَّحْمَةِ ، بَعْدَ أَنْ عَفَا عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ ،  
وَجَعَلَ لِأَبِيهَا مَكَانَةً كَبِيرَةً إِكْرَامًا لَهَا .

وَعَاشَتْ رَمْلَةٌ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ  
وَرَاحَتْ تَرَوِي عَنْهُ مَا سَمِعَتْهُ مِنْ أَحَادِيثَ ، وَرَوَى عَنْهَا كَثِيرٌ  
مِنَ الصَّحَابَةِ .

وَحِينَ حَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ دَعَتْ إِلَيْهَا نِسَاءَ النَّبِيِّ وَرَاحَتْ

تَطْلُبُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أَنْ تُسَامِحَهَا لِكَيْ تَلْقَى اللَّهَ نَقِيَّةً

خَالِيَةً مِنَ الذُّنُوبِ فَقَالَتْ لِعَائِشَةَ :

— قَدْ كَانَ يَكُونُ بَيْنَنَا مَا يَكُونُ بَيْنَ الضَّرَائِرِ لِغُفْرِ اللَّهِ

لِي وَلِكَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ :

- يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ .

فَسَعِدَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ وَقَالَتْ :

- سَرَرَنِي سُرُّكَ اللَّهُ !

وَصَعِدَتْ رُوحُهَا الطَّاهِرَةُ إِلَى بَارِيهَا فِي عَامِ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ  
فِي خِلَافَةِ أَخِيهَا مُعَاوِيَةَ ، رَحِمَهَا اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً ، وَنَفَعْنَا  
وَنَفَعَ أَهْلَانَا وَبَنَاتَنَا وَنِسَاءَنَا بِسِيرَتِهَا الْعَظِيمَةِ !

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

ميمونة بنت الحارث الهلالية (امرأة أحبت الله ورسوله)

رقم الإصدار : ٢٢٢٢٦ / ٢ - ٢٠٠٩

الترقيم الدولي : ٩٧٨ - ٩٩٥ - ٩٩٩